ايضاح المقصود
من
معنى وحدة الوجود

للعارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي

مع أبحاث عن :

الارادة الجزئية - الاختيار - الكسب
وحدة الوجود - العلل والأسباب

للعارف بالله مصطفى كمال الشريف

عرض وتحقيق

عزة حصرية

مطبعة « العلم » دمشق

١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله الذي علم القرآن خلق الانسان علـّمه البيان ، والذي فتح اقفال القلوب بمفاتيح الغيوب حتى تسير الى ملك الملوك بمصابيح الهدى والعرفان ، والصلاة والسلام على النبي العربي اكمل كائن من دائرة الكمال استخزنه الله بحراً من فيض الاسرار والدر المختار بدون حسبان ، بعد ان استلـّه من سلالة عدنان ، وعلى آله واصحابه والتابعين الذين افاض الله عليهم معارف الاسلام والايمان والاحسان .

باسمك اللهم نعتزم وببركتك نعتصم ، وبحولك وقوتك نستدفع الوهن ، سبحانك اللهم لانحصي ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك ، انت الله لا اله الا انت ملهم القول وولي التوفيق .

وبعد ، فقد تتابعت في الاسلام حوادث عظام ، خلال تلمس الحق بين مجاهل الكون وخوافيه ، وهي على عظمتها لم تستطع ان تقف في وجه مشرق نور الايمان ، فتساقطت ألويتها وتداعت ابنيتها .

ومن هذه الحوادث : « وحدة الوجود » او بالأحرى مسألة « الوجود والموجود » ، وقد تكلم عنها من خصوا بالنفحات الالهية القدسية ، موضحين في هدي القرآن الكريم وسنة نبيه الحبيب كل المشكلات بما يزيل الشكوك والاوهام ، فكانت المعركة مثار ترجيح بين نوعين من الادلة والبراهين ، منها ما اعتمد عليه المؤمنون ومنها ما استند عليه المنكرون ، فتهاوت الشبـَه تحت وطأة تلك الادلة والبراهين من نصوص الكتاب والسنة ، على وجه يـُقْبَلُ بالفكر بل يـُقْنـِعُ بالبداهة ، فسارت « وحدة الوحدة » مع « العبْدِيـَّةِ » — في اصطلاح الشريعة — جنبا لجنب ، وهو ما اشار اليه العارف بالله الشبلي حين

قال : « مارأيت شيئاً الا ورأيت الله معه » ، وما نادى به الامام الجنيد لما سمع الحديث الشريف : « كان الله ولم يكن معه شيء » حيث قال : « والآن ليس مع الله شيء » .

وقد انتشرت « وحدة الوجود » في العالم في اول القرن الثامن عشر للميلاد ، وادلى تولاند الانكليزي بدلوه مردداً : « إن الله روح العالم وقيومه » ومسمياً اصحابه بالموحدين للوجود ، وتبعه الفيلسوف سبينوزا الهولندي على المنهج نفسه ، ثم هيجل الالماني الذي اعلن : إن مذهبي في وحدة الوجود مشتق من مذهب التوحيد ، ومع كل ما فعله الفلاسفة وفكروا فيه لم يستطيعوا تحقيق بعض الهدف ، الا بعد ان استمدوا الاعانة على هذه الابانة مما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة ونسبوه لانفسهم زوراً وبهتاناً .

واننا لنكتفي بهذا القدر الموجز متحاشين التطويل ، لننتقل الى بحثين ينقذان من زيغ النفس وفتنة الهوى وضلال السبيل ، واولهما: « ايضاح المقصود من وحدة الوجود » للعارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني النابلسي ، وثانيهما : «الارادة الجزئية ـ الكسب ـ الاختيار ـ وحدة الوجود ـ العلل والاسباب » للعارف بالله تعالى مصطفى كمال الشريف ، وبين الرجلين مدة أربت على مئة واربعين سنة ، وهي كافية ليتكلم كل منهما بلغة عصره ، فالبحث الاول عويص الى حد ما ، بينما جاء البحث الثاني سهلاً ممتنعاً متفقاً مع حاجات زمان مؤلفه ، رغم ان كلا منهما استظل بتلك الظلة السابغة ، ظلة الاسلام ؛ الدين الراسخ والحكم النافذ واليقين المكين .

والله نرجو ان يوفقنا لسداد النظر ، اذ لا هداية إلا به ، ولا معول الا عليه ، انه سميع بصير مجيب .

عزة حصرية

ايضاح المقصود من :

وحدة الوجود

للعارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني النابلسي(١)

(١) تطالع ترجمة المؤلف العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي في الصحيفة ٣٠ من هذه الرسالة .

الحمد لله الموصوف بوحدة الوجود على ما تعرفه اهل المعاينة والشهود لا على المعنى الفاسد الذي عند اهل الالحاد والزندقة ،واهل الانكار والجحود ، لان كل شيء من جهة نفسه معدوم مفقود ، وانما هو لوجود الله تعالى موجود ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي فتح الله بانوار متابعته كل باب مسدود ، لمن حافظ على الاحكام الشرعية واقام الحدود •

اما بعد •• فيقول العبد الفقير الى مولاه القدير عبد الغني بن اسماعيل بن النابلسي ، اخذ الله بيده وأمده بمدده ، هذه رسالةعملتها في تحقيق المعنى المراد عند اهل الله تعالى ، المحققين الامجاد ، باطلاق وحدة الوجود ، وقولهم : « لا شيء مع الله تعالى موجود » وبيان صحة هذه المقالة ، ونفي ما عداها من ضلالات اهل الغواية والجهالة ، والحكم على ما يخالف ذلك بالاستحالة ، وسميتها « ايضاح المقصود من معنى : وحدة الوجود » ومن الله استمداد الاعانة على هذه الابانة ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل •

اعلم أن هذه المسألة ، وهي مسألة وحدة الوجود ، قد كثّر العلماء فيها الكلام قديما وحديثا ، وردها قوم قاصرون غافلون محجوبون ، وقبلهاقوم آخرون عارفون محققون ، ومن ردها لعدم فهم معناها عند القائلين بها ، وتوهم منها المعنى الفاسد ، فلا التفات لرده كائنا

من كان لصده عن الحق ، وانما رده في الحقيقة لامر واقع على فهمه من المعنى الفاسد ، لا على هذه المسألة ، فهو الذي صور الضلال ورده، واما القائلون بها فانهم العلماء المحققون والفضلاء العارفون اهل الكشف والبصيرة الموصوفون بحسن السيرة وصفاء السريرة ، كالشيخ الاكبر محي الدين ابن عربي ، والشيخ شرف الدين بن الفارض ، والعفيف التلمساني ، والشيخ عبد الحق بن سبعين ، والشيخ عبد الكريم الجيلي وامثالهم ، قدس الله تعالى اسرارهم، وضاعف انوارهم، فانهم قائلون بوحدة الوجود ، هم واتباعهم الى يوم القيامة ، ان شاء الله تعالى ، وليس قولهم بذلك مخالفاً لما عليه أهل السنة والجماعة ، وحاشاهم من المخالفة ، وانما المنكر عليهم وعلى امثالهم أنكر من قصور فهمه وقلة معرفته باصطلاحهم وعدم علمه، فان علومهم مبنية على الكشف والعيان ، وعلومهم غير مستفادة من الخواطر الفكرية والاذهان وبداية طريقهم التقوى والعمل الصالح ، وبداية طريق غيرهم مطالعة الكتب ، بدليل المقابلة والاستمداد من المخلوقين في حصول المصالح ، ونهاية علومهم الوصول الى شهود الحي القيوم ، ونهاية علوم غيرهم تحصيل الوظائف والمناصب ، وجمع الحطام الذي لا يدوم ، فلا طريق الا طريق السادة الأئمة الهداة القادة ، ولا اعتقاد الا وحدة الوجود على المعنى الصحيح الموافق المشهود •

والواجب على كل مكلف ان يبحث عنه ، ويتحقق به على الوجه التام ، ويحفظ عليه ويترك ما عداه من اقوال علماء الكلام ، لانه القول الحق والاعتقاد الصدق ، والواجب ايضاً حمايته من طعن الطاعنين وذم الجاهلين له ، المتكلمين فيه من غير معرفة به الضالين المضلين .

واعلم ان ليس المراد بوحدة الوجود خلاف ما عليه أئمة الاسلام بل المراد في ذلك ما اتفق عليه جميع الخاص والعام ، وما هو معلوم من الدين بالضرورة من غير انكار أصلاً من مؤمن ولا من كافر ، ولا يتصور فيه انكار عند العقلاء من الأنام .

ان جميع العوالم كلها على اختلاف اجناسها وانواعها واشخاصها موجودة من العدم بوجود الله تعالى لا بنفسها ، محفوظة عليها الوجود في كل لمحة بوجود الله تعالى لا بنفسها ، واذا كانت كذلك فوجودها الذي هي موجودة به في كل لمحة ، هو وجود الله تعالى ، لا وجود آخر غير وجود الله تعالى .

فالعوالم كلها من جهة نفسها معدومة بعدمها الاصلي ، واما من جهة وجود الله تعالى فهي موجودة بوجوده تعالى ، فوجود الله تعالى ووجودها الذي هي موجودة به وجود واحد ، وهو وجود الله تعالى

فقط ، وهي لا وجود لها من جهة نفسها أصلا ، وليس المراد بوجودها الذي هو وجود الله تعالى عين ذاتها وصورها ، بل المراد ما به ذواتها وصورها ثابتة في اعيانها ، وما ذلك الا وجود الله تعالى باجماع العلماء العقلاء منها ، وأما ذواتها وصورها من حيث هي في انفسها ، مع قطع النظر عن ايجاد الله تعالى لها بوجودها سبحانه ، فلا وجود لاعيانها اصلاً .

واما القائلون من علماء الرسوم وعلماء الكلام بان الوجود اثنان: وجود قديم ووجود حادث ، فمرادهم بالوجود الحادث نفس اعيان الذوات والصور فقط ، ولهذا كان مذهب الاشعري رحمه الله تعالى بان وجود كل شيء عين ذات ذلك الشيء لا زائد عليه ، كما تقرر في موضعه .

واما الوجود الذي به تلك الذوات والصور موجودة ، فلا شك بانه وجود الله تعالى عند جميع العقلاء بلا خلاف ، وكلام المحققين من اهل الله تعالى عن هذا الوجود لا عن الوجود الذي هو عين ذات الموجود ، فالخلاف في رد القول بوحدة الوجود وقبوله ، مبني على تعيين المعنى المراد بالوجود ، فمن فسَّره بعين ذات الوجود ، يرد القول بوحدة الوجود ، لاثباته وجوداً حادثاً ، هو عين ذات الموجود الحادث ، ومع ذلك رده للقول بوحدة الوجود محض خطأ ، لانهذا

الوجود الحادث الذي يزعم انه وجود ثان غير وجود الله تعالى ، قائم عنده بوجود الله تعالى ، فرجع الوجود كله الى وجود الله تعالى عنده ايضاً .

ومن فسَّر الوجود بها صار به بيان الوجود الموجود الحادث موجوداً ، فانه يقبل القول بوحدة الوجود ، ويعتقده حقاً ، وهو الصواب الذي ترجع اليه الاقوال جميعها ، لأن وجود الله تعالى الذي به كل موجود موجوداً باجماع العقلاء ، فالخلاف في ذلك لفظي راجع الى تفسير المراد من لفظ الوجود .

وكلام المحققين من أهل الله تعالى ، في مسألة الوجود من اعلا عليين ، وكلام غيرهم فيها من اسفل سافلين ، وكون المراد بالوجود ما به كل موجود موجود في القديم والحادث اقرب الى التحقيق ، فانه لا غنى للموجود الممكن عن الوجود القديم أصلاً ، فوجوده هو وجوده وذات الموجود الممكن ، وصورته غير الموجد القديم ، فهما اثنان والوجود الذي هما موجودان به وجود واحد ، هو للقديم بالذات والحادث بالغير ، فالقديم موجود بوجود هو عين ذات القديم ، وليس الحادث هو عين ذات القديم ، ولا القديم هو عين ذات الحادث ، بل كل واحد منهما مباين للآخر في ذاته وصفاته وان اجتمعا في الظهور

بالوجود الواحد وثبوت العين به ، فان الوجود الواحد للقديم بذات ،؟ وللحادث بالقديم لا بذاته ، فالوجود الواحد في القديم وجود مطلق على وجه لا اعظم منه ، وفي الحادث وجود مقيد على وجه يليق بالحادث أدنى من الوجه الاول دنواً صادراً من جهة القديم .

وتقريب ذلك ؛ رؤية النجم الذي في السماء صغيراً عند اهل الارض ، مع عدم تغيره من الكبر الذي هو فيه ، فالكبر اذا ظهر بضده وهو الصغر من البعد لا يلزم ان يكون قد تغير عما هو عليه ، وكذلك وجود الله تعالى المطلق ، اذا ظهر على الحوادث المفروضة المقدرة وجوداً مقيداً لا يلزم ان يكون قد تغير عما هو عليه من اطلاقه ، فانه وجود مطلق لا ينقسم ولا يتغير ، وكيف المعدوم بغير الموجود الحق، وانما التغير والتبديل واقع فيالذواتالحادثةوصورها.

فالله تعالى يغيرها كيف شاء ، ويقلبها وينقلها من عدمها الاصلي الى وجودها الطارىء الذي هو عين وجوده سبحانه فتتصف بوجوده سبحانه على حده كائناً بها كما كانت متصفة به في الوجود العلمي من غير ان ينقسم وجوده سبحانه ولا يتغير سبب هذا الاتصاف المذكور ، كما ان الماء الصافي اذا فرضنا وقدرنا أننا وضعنا فيه زاجاً ، فانه يصير أسود اللون ، من غير ان يتغيَّر هو في نفسه ، ولا زال عنه صفاه ، وكذلك اذا فرضنا وقدرنا ان فيه زنجفراً فانه يصير احمر

اللون ، وهكذا جميع الالوان ، والماء لا يتغير أصلاً في نفسه ولا يزول صفاه عنه ، وهما شيئان ، ماء وزاج او ماء وزنجفر ، لا شيء واحد لكنه ماء محقق ، وزاج او زنجفر مفروض مقدر ، وهما موجودان بوجود واحد ، وهو وجود الماء فقط ، وليس الزاج المفروض المقدر والزنجفر موجوداً بوجود آخر عين وجود الماء ، بل لا وجود له أصلاً مع وجود الماء ، والوجود للماء وحده ، ولكنه استعير للزاج المفروض المقدر او الزنجفر وجود الماء لكونه مفروضاً مقدراً فيه ، وليس ذلك مخرجاً للماء عن وحدته الحقيقية بسبب كونه مفروضاً مقدراً فيه ، ولا حال في الماء شيء ، ولا حال الماء في شيء ، ولا اتحد الماء مع ذلك الزاج المفروض المقدر ، ولا الزاج مع الماء ، وانما هما حقيقتان : ماء حقيقي موجود بنفسه ، وزاج او زنجفر مفروض مقدر لا وجود له بنفسه ، بل بوجود الماء الفارض المقدر له فيه .

واذا كان الوجود واحداً مشتركاً ، بحسب الظاهر بين الموجود المحقق وهو الماء ، وبين المفروض المقدر وهو الزاج او الزنجفر ، فلا يمتنع ان لا يكون مشتركاً اصلا في حقيقة الامر ، كما ان اللفظ الواحد ان كان مشتركاً في الاستعمال بين معناه الحقيقي الموضوع ومعناه المجازي الموضوع له لا يمتنع ان لا يكون مشتركاً أصلا في الوضع ، بل الوجود هو وجود الماء المحقق وحده ، والزاج والزنجفر

المفروض المقدر له وجود آخر مفروض مقدر مثل هو عين ذاته ونفس صورته ، مثلما قاله الأشعري رحمه الله تعالى وزاد على ذاته وصورته ، كما قال الفخر الرازي هو مذكور في مواضع من علم الكلام ، في مبحث الوجود ، فان القائلين بوحدة الوجود ، مرادهم بالوجود ، الوجود الذي به صار الموجود موجوداً ، لا الوجود الذي هو مفروض مقدر ، لكن من جنسه ، فافهم هذا المثال ، ولله المثل الأعلى في السموات •

وبيان ذلك المثال بان الوجود الحق ، هو عين ذات الحق تعالى، وهو موجود واحد ، لا ينقسم ولا يتبعض ولا يتجزأ ولا ينتقل ولا يتغير ولا يتبدل اصلاً ، وهو مطلق عن الكيفيات والكميات والاماكن والازمان والجهات ، ولا يتصور فيه الحلول في شيء اذ ليس معه شيء غيره ولا يتحد مع شيء اذ لا شيء معه ، وانما جميع الاشياء به موجود ، وبوجوده الذي هو عين ذاته ثابتة مشهودة وجميع الاشياء بالنظر الى ذواتها مفروضة مقدرة ، مثل الزاج او الزنجفر في المثال المذكور ، وان اثبتنا لها وجوداً آخر ، عين وجوده تعالى ، مثلما يقول به علماء الرسوم وعلماء الكلام ، سواء كان الوجود عين ذاتها او زائداً على ذاتها ، فان ذلك الوجود مفروض مقدر ايضاً مثلها ، فينقل الكلام الى ما به ذلك الوجود المفروض المقدر موجوداً ايضاً ، وهو وجود الله تعالى بلا شك ولا ريب •

ويضطر الكل الى القول بوحدة الوجود على حسب ما ذكرناه ، فيقال لعلماء الرسوم وعلماء الكلام ، كيفما قلتم بوجود ما سوى الله تعالى من العوالم ، نقول لكم : كل ذلك قائم بوجود الله تعالى ، وهو مفروض مقدر في نفسه لانه مخلوق ، فهو بالنظر الى ذاته عدم صرف ، وانما وجوده بوجود الله تعالى ، فالوجود لله تعالى وحده ، وان وجد به ما سواه كما نقول لمن قال لنا يلزم على قولكم الجبر في افعال المكلفين ونفي الاختيار عنهم ، كيف تقولون : أنتم في افعال المكلفين ، فنحن نقول مثلكم ، ومعلوم انكم تقولون ان العبد له جزء اختياري ، وبذلك صار له مدخل في افعاله ، فنقول لكم نحن كلامنا عن جملة ذلك ، فان الله تعالى خلق الكل والخلق والفرض والتقدير .

فنرجع الى مسألتنا « وحدة الوجود » ، والمفروض المقدر كيفما فرضناه وقدرناه محتاج الى الوجود الاول ، ولا وجود الا بوجود الله تعالى ، مع انه عدم صرف في نفسه ، وهذا الوجود المفروض المقدر للاشياء عين ذواتها أو زائد عليها .

والذي تقول به علماء الرسوم وعلماء الكلام ، ويجعلونه وجوداً ثانياً لوجود الله تعالى ، ويرونه ويردون به على القائلين بوحدة الوجود من المحققين العارفين القول به أيضاً ، بل هم قائلون به لتمام المضاهاة بين العالم والمعلوم ، والصانع والمصنوع على التنزيه التام ، ولا يمتنع

عليهم اثباته كما اثبتوا للمعلوم والمصنوع نظيراً للعلم والصانع من الصفات والاسماء ، ولا يطعن ذلك في صدق قولهم بوحدة الوجود .

فان كلام المحققين العارفين عما به كل الموجودات ، موجودات الذي لولاه لما كان في الوجود موجوداً أصلاً ، لا معقول ولا محسوس، الذي جميع الموجودات في نفسها مع قطع النظر عن وجوده القيوم عليها ، لا وجود لها أصلاً ، اذ ليس في قوة المخلوق ان يخلق نفسه، وهو وجود الله تعالى الحق وحده لا شريك لـه ، ولا يتصور فيه سبحانه ان يحل فيما فرضه وقدره من جميع المخلوقات ولا بعضها أصلاً ، لأن المفروض المقدر في نفسه عدم صرف ، وكيفية الوجود يحل به في العدم ، وكذلك لا يتصور ان يتحد معه أصلاً ، لان الحقيقتين متباينتين تبايناً كلياً ، بحيث لا مشابهة بينهما أصلاً ، فحقيقة الحق وجود صرف مطلق حتى عن الاطلاق لانه قيد ، وحقيقة المفروض المقدر عدم صرف مقيد ، وانما وجود المفروض المقدر ان قلنا به كما قالت به علوم الرسوم وعلماء الكلام ، فهو مفروض مقدر ايضاً ، فحقيقته عدم صرف ايضاً لو عقل القائلون بذلك .

والامر كله راجع على كل حال الى وجود الله تعالى عند الجميع، فوجود الله تعالى هو الوجود ، والوجود كله بلا وجود الله تعالى عدم صرف ، فلا وجود الا وجوده تعالى ، فكلهم قائلون بوحدة الوجود

طوعاً او كرهاً ، وانما قلنا بان جميع المخلوقات مفروضة مقدرة ، لان الخلق معناه الفرض والتقدير كما قال تعالى : « وخلقَ كلَّ شَيء فقدَّرَهُ تقديراً » ، وان كان معناه الايجاد الذي ينتج الوجود ، فهو الوجود المفروض المقدر ، فيرجع الى انه وجود مفروض مقدر على كل حال ، لا مساواة بين وجود الله تعالى ، ووجود جميع المخلوقات كلها بوجوده تعالى لا بنفسه ، وكون وجود المخلوقات كلها بوجود الله تعالى ، ووجود الله تعالى هو الوجود الذي به وجود المخلوقات كلها كما ذكرنا لا ينافي ان وجود المخلوقات كلها بقدرة الله تعالى وارادته وعلمه وحياته وبقية صفاته ، لان وحدة الوجود اختصار في الكلام عند العارفين واجمال فيه ، وتفصيلها ما عند علماء الرسوم وعلماء الكلام من بيان صفات الله تعالى وشرح اسمائه ، فان صفاته تعالى كانت عندهم ليس عين الذات ولا غيرها ، ولم يقل أحد من أهل السنة بمغايرتها لذاته تعالى حق المغايرة الموجبة للتركيب ، فاطلق عليها وجود الله تعالى ، فكان القول بان وجود الله تعالى بهوجود كل شيء ، على معنى خلق وجود كل شيء وفرضه وتقديره ، قولاً باثبات الصفات لله تعالى على حد ما يقوله علماء الرسوم وعلماء الكلام بلا خلاف ◆

والحاصل ان جميع علماء الظاهر لاحق معهم في الطعن على القائلين بوحدة الوجود من المحققين العارفين القائلين بذلك ، على وجه الحق والصواب كما ذكرنا ، واما القائلون بوحدة الوجود من الجهلة الغافلين والزنادقة الملحدين الزاعمين بان وجودهم المفروض المقدر هو بعينه وجود الله تعالى ، وذواتهم المفروضة المقدرة هي بعينها ذات الله تعالى ، وصفاتهم المفروضة المقدرة هي بعينها صفات الله تعالى، الذين يحتالون بذلك على اسقاط الاحكام الشرعية عنهم ، وابطال الملة المحمدية ، وازالة التكليف عن نفوسهم ، والطعن عليهم بسبب القول بوحدة الوجود على هذا المعنى الفاسد طعن صحيح ، وعلماء الظاهر مثابون بذلك كمال الثواب من الملك الوهاب ، والعارفون المحققون معهم في هذا الطعن من غير خلاف .

وقد اشار اليهم الشيخ عبد الكريم الجيلي قدس الله سره في كتابه المسمى « شرح الخلوة » في اوائل الوصايا ، حيث قال : يا أخي! رحمك الله قد سافرت الى اقصى البلاد ، وعاشرت اصناف العباد ، فما رأت عيني ولا سمعت اذني ، ولا أقبح ولا أبعد عن جناب الله تعالى من طائفة تدعي انها من كمَّل الصوفية ، وتنسب لنفسها الى الكمَّل وتظهر بصورتهم ، ومع هذا لا تؤمن بالله ورسله ولا باليوم الآخر ، ولا تتقيد بالتكاليف الشرعية ، وتقرر احوال الرُّسل وما

جاءوا به بوجه لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ، فكيف من وصل الى مراتب اهل الكشف والعيان ، ورأينا منهم جماعة كثيرة من أكابرهم في بلاد اذربيجان وشيروان وجيلان وخراسان ، لعن الله جميعهم •

فالله يا اخي لا تسكن في قرية فيها واحد من هذه الطائفة لقوله تعالى : «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة» ، وان تيسّر لك ذلك ، فاجهد ان لا تراهم ولا تجاورهم ، فكيف ان تعاشرهم وتخالطهم ، فان لم تفعل فما نصحت نفسك والله الهادي = انتهى كلامه هذا عن القائلين بوحدة الوجود ، على حسب ما ذكرناه من المعنى الفاسد ، ولكن علماء الظاهر اذا ترقوا من الطعن في هؤلاء الرعاع السفلة المارقين من الدين مروق السهم من الرّمية الى الطعن في تلك السادة الأئمة العارفين المحققين ، بظنهم انهم يقولون بوحدة الوجود مثل قولهم ، كان ذلك أمراً شنيعاً في الدين ، ولا يرضي من يؤمن بالله واليوم الآخر •

فالسادة الأئمة العارفين ، كتبهم ومصنفاتهم مشحونة باثبات الوجود الحادث المفروض المقدر ، صريحاً واشارة ، والحاكم بان غير الوجود القديم وان كانوا قائلين بوحدة الوجود ، غير انهم تارة

يغلب عليهم شهود الوجود الحق الحقيقي الذي به كل شيء موجود فينفون ما عداه ، ويقولون عما سواه انه خيال وانه سراب وانه هالك وانه مضمحل زائل ، لا وجود له اصلاً ، وهم صادقون في ذلك كله، لان كل ما سوى الحق تعالى ، انما وجوده مفروض مقدر بالاجماع لانه مخلوق ، والوجود المفروض المقدر عدم صرف في نفسه ، وانما الوجود المحقق وجود الحق تعالى وحده الخالق ، اي الفارض المقدر لكل شيء ، أو الموجد بطريق الفرض والتقدير لكل شيء ، ولا يقال لو كان كل شيء من المخلوقات ، مفروضاً مقدراً لما كان كما نشاهده، محسوساً ومعقولاً ثابتاً موجوداً محققاً ، لانا نقول فرض الله وتقديره لوجودات الاشياء في اعيانها ، ليس كفرضنا نحن وتقديرنا للشيء المعدوم ، وقد جعل الله تعالى ما نفرضه ونقدره ، انزل رتبة منا ليكون ذلك فينا مثالاً لما يفرضه الله تعالى ويقدره من وجـودات الاشيـاء المعدومة ، وانها انزل منه تعالى في الوجود ، ولا يجوز الطعن على احد من العارفين ، وان جهل الجاهل قولهم ، فان الجهل للشريعة والدين الحق في مذهب ذلك الجاهل ليس بعذر بل الواجب عليه التعليم عنده .

فاذا حكمنا على الجاهل بما يرى في مذهب حكمنا يكفره حيث انكر ما هو الحق على اهل الحق ، وان لم يعلم بمعنى ما انكره ،

وأقل الاثم والمعصية في ذلك كما قال تعالى : (ولا تَقْفُ ماليس لكَ به علم ، ان السَّمعَ والبصرَ والفؤادَ ، كلٌّ اولئكَ كان عنه مسؤولا) .

ومن الواجب على المؤمن ان يحمل أخاه المؤمن على الكمال ، على حسب ما امكن ، لا سيما في حق المعارف والحقائق والعلوم الالهية ، فانهم أولياء الله تعالى ومعاداة اولياء الله تعالى معاداة الله تعالى ، ومعاداة الله تعالى كفر لا محالة ، كما قال تعالى : (من كان عَدُوّاً لله وملائكته ورسله وجبريلَ وميكائيلَ فان الله عدوٌّ للكافرين) .

والجاهل الذي لا يعرف علوم الاذواق ، وانما علمه الذي هو غير عامل به أيضاً ، مأخوذ من الكتب والاوراق ، له مندوحة عن الانكار ، وهو تحسين الظن بالله تعالى ، والاعتراف بانهم أعلم منه بالله تعالى وانه جاهل بكلامهم ، فلا ضرورة له في الانكار عليهم ، مع علمه بكفر من أنكر الحق اجماعاً .

ولو أردنا ان نستدل على ثبوت وحدة الوجود بالمعنى الصحيح الذي ذكرناه لطال الكلام في ذلك بايراد الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، وكلام العلماء السادات المحققين من أهل الظاهر والباطن ، ولكن قصدنا الاختصار فيما ذكرناه كفاية .

وقد وقفت للمتأخرين من العلماء على رسائل كثيرة في بيان وحدة الوجود ، والاستدلال على صحة القول بها ، وإطالة الكلام بتحقيق هذا المرام ، وانا ارجو ان من تحقق عما حررناه بهذه العجالة من فتوح الوقت ، ان نفهم المقصود من عبارات علماء الظاهر وعلماء الباطن في هذه المسألة ، فانها أصل عظيم من أصول التحقيق في مواجيد الصالحين ، واشارات اهل الكمال من اصحاب اليقين ، فانها هي التوحيد الشرعي الذي بنيت عليه جميع اعمال المخلصين ، وما عدا ذلك فالشرك الخفي الذي هو مبنى اعمال الغافلين .

ولهذا نقل العارف المحقق الشيخ احمد القشاشي المدني رحمه الله تعالى في رسالته في وحدة الوجود عن ابن كمال باشا رحمه الله تعالى ، ومن خطه نقل ، كما صرح بذلك ، انه يجب على ولي الامر ان يحمل الناس على القول بوحدة الوجود = انتهى = .

وتقديره ان يحمل الناس على القول بالتوحيد الخالي من الشرك الخفي الذي اشار اليه الشيخ العارف أرسلان رضي الله عنه في اول رسالته بقوله : كلك شرك خفي ولا يبين لك توحيدك الا اذا خرجت عنك ، وقد استوفينا الكلام على الشرك الخفي في شرحنا رسالة الشيخ أرسلان بحسب الامكان ، وبالله المستعان ، وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله واصحابه اجمعــين مع التابعين وتابع التابعــين باحسان الى يوم الدين •

قال مصنفها رضي الله عنه ، وكان تصنيف هذه الرسالة المباركة في مجلسين قليلين من ليلة الجمعة ويوم الجمعة الثاني عشر من شعبان سنة احدى وتسعين والف بالخير والحمد لله وحده •

الارادة الجزئية ـ الاختيار ـ الكسب

للعارف بالله مصطفى كمال الشريف

إن ما قاله الجبرية والمعتزلية في كون الانسان مجبوراً او مختاراً على وجه الاطلاق انكره اهل السنة وقالوا : وما الانسان مجبور وله الاختيار في الامور ، وبينوا وجه نسبة التكليف ونزهوا الحق واثبتوا الخلق واستخرجوا اللبن الخالص من بين فرث ظلم الجبرية ودم جور القدرية • فالطريق الواضح والكسب الرابح هو نهج اهل السنة ، فمن انحرف بَعُدَ كل البعد عن حقيقة الكتاب والسنة ، لان الكشف الصريح اعطانا ولله الحمد بان نور الوجود المفاض على الكون أمَدَّ كل حقيقة بما تطلبها بذاتها من الكمال •

ولما كان الانسان مظهراً كاملاً للصفات الثبوتية ، وهي الحياة والعلم والسمع والبصر والارادة والقدرة والكلام والتكوين ، ظهرت فيه آثارها على اكمل وجه ، لأن مرآة حقيقته قابلة لذلك ، فهو حي كما انه عليم وسميع وبصير ومريد وقادر ومتكلم ومكوِّن ، فكما حياته ليست بذاته بل بشيء زائد على ذاته ، وهي الحياة التي هي صفة ثابتة للموجد فعلاً فكذلك علمه وسمعه وبصره وإرادته وقدرته وكلامه وتكوينه ، فهو انزل درجة من خالقه ، فلذلك كانت هذه

الاوصاف فيه محدودة ، فهو حي لان من شأنه ان يكون حياً ، ولا يقال هو مجبور على الحياة ، كما لا يقال ان الشمس مجبورة على نشر الضياء لان من شأنها ذلك ، واما اذا ظهر منها شيء ليس من شأنها فيصح حينئذ ان يقال انها مجبورة فكل حقيقة اذا أبرزت مقتضياتها فلا يصح نسبة الاضطرار والجبر لها كالماء والنار مثلا ، فلا يقال الماء جبوراً على الارواء والنار على الاحراق ، ومثل ذلك الاختيار أي فلا يقال لها الاختيار في ذلك ، فاذا علمت ان الجبر والاختيار لا يجريان في مقتضيات حقيقة الاشياء فاعلم ان الانسان يريد لان من شأنه ان يريد فاذا كانت ارادته غير مقرونة بما يناسبها من بقية الصفات ترتب عليها اللوم او الاثم ، فاذا اراد مثلا ان يتكلم بكلام ولم يتبصر بعلمه في عواقبه وتكلم به وكان مما يشين لامة الناس ولامته نفسه ايضاً ، ومثل ذلك الكلام المغاير للشرع فانه يأثم بسببه ، وكذلك اذا اراد ان يتكلم وما حرك لسانه ولا اخرج الحروف من فمه وحلقه فلم تتم الارادة ومثله اذا اراد ان يسمع ولم يلق بالاً لما اراد سماعه فانه لا يسمع لانه ما قرن الارادة بما يناسبها من الصفة وكذلك القدرة والتكوين ، فانه اذا اراد ان يكوّن بيتاً ولم يستحضر على مواده او يحارب قوماً ولم يتهيأ لهلا بالقدرة فلا تتم ارادته •

فالانسان **يريد من حيث انه مريد من غير اجبار على ذلك** ، لكن

ارادته ليست باصالة بل حكمية كما ذكرنا ، فاذا اقرن ارادته بما يناسبها من سائر اوصافه الحكْمية نجا من اللوم والاثم ، وان لم يقرنها وقع لا محالة في احدهما كذلك من غير اجبار .

تأمل الانسان كيف يطرأ عليه الخجل من حركة صدرت منه تغاير العادة المألوفة ولا يستطيع ان يدفع عنه التأثر الحاصل من الخجل لانه يتحقق في نفسه انه هو الفاعل لتلك الحركة ولا يصرف عنه ألم الخجل علمه بان ربه هو الذي جعله يتحرك بتلك الحركة لان علمه ايضاً يعطيه بانه فعل هو تلك الحركة من غير تأمل ، فيحكم هو على نفسه بالتقصير : (فللّـهِ الحُجَّةُ البالِغَةُ) .

فالمعتزلة اخطئوا باثبات ارادتين مع انه ماثمة إلا ارادة واحدة تظهر في الانسان على حسب استعداده = لأن التجلي لا يكون الا على حسب المحل = ، فالذي مرآة حقيقته واسعة تظهر فيه الاوصاف المذكورة على وجه اتم واكمل من غيره ، فهذه الارادة التي ظهرت منه جزئية بالنسبة لاصلها ، فتسميتها جزئية بالنظر لهذا وإلا فهي عين الارادة الكلية كالزبد الذي فوق البحر فهو عين البحر ولكن البحر ليس عين الزبد .

واما خطأ الجبرية فخطأ مقرون بالجهل ، ويظهر لك كيفية

الجهل من التفصيل السابق ، والحاصل فينبغي التمسك بقول اهل السنة في جميع المعتقدات فانها حق وصدق من كل وجه فلا تعوق صاحبها عن السير لا في الدنيا من حيث السلوك ولا في الآخرة من حيث النجاة ، لانها سبيل الرسول عليه الصلاة والسلام ، رزقنا الله الثبات عليها في الحياة الدنيا وفي الآخرة آمين •

وحـــدة الوجود

« العلل والاسباب »

للعارف بالله مصطفى كمال الشريف

يحتار العلماء من اهل النظر في وحدة الوجود القائلين بها أهل التحقيق من العلماء بالله لانهم يفهمون منها معنى لا ينطبق على قواعد العلم الاستدلالي ، والعلماء بالله مع توسعهم في المسألة لم يبحثوا فيها بحثاً يزيل إشكال اهل النظر لانهم تكلموا في ذلك لانفسهم لا لمن لم يشهد تلك الوحدة من غيرهم فلذلك يحتاج الامر للايضاح لتطمئن به قلوب اهل التسليم من اهل النظر .

فنقول وبالله التوفيق :

الوجود واحد لانه صفة ذاتية للحق سبحانه وتعالى ، وهـــو واجب فلا يصح تعدده والموجود هو الممكن وهو العالم فصح تعدده باعتبار حقائقه وقيامه انما هو بذلك الوجود الواجب لذاته ، فاذا زال بقي الوجود كما هو ، فالموجود غير الوجود فلا يصح ان يقال الوجود اثنان وجود قديم ووجود حادث ، إلا ان يراد بالوجود الثاني الموجود من اطلاق المصدر عـــلى المفعول فعلى هـــذا لا يترتب شيء من المحاذير التي ذكرها اهل النظر على وحدة الوجود القائل بها اهل

التحقيق ، لأن اهل التحقيق يتكلمون في العلم من وجهة الباطن ، والباطن امر معنوي لا يعلم بالنظر الفكري وإن كان النظر الفكري معنويا ايضاً لكن ليس معنويا من كل وجه بل برزخ بين الظاهر والباطن وللظاهر أقرب ، فالوجود هو القوى الروحانية المعنوية والموجود هو الهياكل الجسمانية ، فالحس لا يرى الا الهياكل اي الموجود ، والروح لا تشهد الا الوجود ، واذا شهدت الموجود فلا تشهده الا ثانيا على حد من قال : ما رأيت شيئاً الا ورأيت الله قبله ، واراد بهذه الرؤية الشهود لا رؤية البصر لان الرؤية من خصائص البصر والشهود من خصائص البصيرة ، لذلك ورد (اشهد ان لا اله الا الله) ولم يرد أرى بل ولا يصح ان يقال ارى ولو لم يكن امر الوجود هكذا لما ورد في الشرع أمر ونهي ولا شاهدنا ثمراتهما من تحسين الاخلاق وتهذيبها •

ألا ترى النبات اذا نقل من مكان الى مكان آخر يتحول من حال الى حال فيقال قلبته الارض وما هو الامن تأثر الموجود من العلل والاسباب التي وقف عندها اهل النظر وتجاوزها اهل التحقيق، وما تجاوزوها إنكاراً ونفياً لها بل لعدم وقوفهم مع العقل والمنفعل لان البصيرة ليس من شأنها الوقوف عند ذلك ، فالوقوف من شأن البصر والفكر •

فاذا علمت ذلك ظهر لك ان الموجود ينفعل مما يطرأ عليه من العلل و يتأثر بالاسباب لارتباطه بها ، والوجود لا يتأثر لانه فاعل وامره النافذ في الموجود وهو الفعل ، فمن شهد الفاعل قال : ما رأيت شيئاً الا ورأيت الله قبله كما مر ومن شهد الفعل قال : ما رأيت شيئاً الا ورأيت الله بعده ومن شهد الموجود ايضاً مع مشاهدته الفعل قال : ما رأيت شيئاً الا ورأيت الله معه ، وهذه المعية غير المعية التي في قوله تعالى : وهو معكم اينما كنتم .

فظهر مما ذكر ان الانفعال والتأثر هو محتِد الاختلاف ان كان في المعتقدات او العادات ، فلذلك يجب على الموجود اي الانسان لانه اعظم موجود ان يتحرى عند مجاورته العلل ومعاطاته الاسباب ليتبرأ لدينه وعرضه ويتحفظ على نفسه ولا يقال إن الفعل اي الامر النافذ فيه جعله مجبوراً ، لاننا ذكرنا في بحث الارادة من هذه الاذواق قدرة العبد على التحري ما يغني عن الاعادة ، فان كنت مرآة للوجود فانت تريد ، وهناك تقام الموازين وتتحكم الاسباب وان كان الوجود مرآة لك فهو يريد:(اولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) ولا تقل مافهمت هذه العبارة الاخيرة لانها ليست من طوق الافهام بل من مزايا القلوب التي خليت من الاوهام وتلت بمجموع قواها بلسان حبها على بساط قُربها : (واجنبني وبنيَّ ان نعبد الاصنام)

ترجمة العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي

ولد العارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني النابلسي بدمشق ، سنة ١٠٥٠ هـ و ١٦٤١ م ، وهو عبد الغني بن اسماعيل بن عبد الغني النابلسي ، صوفي وعالم بالدين والادب ، ومكثر من التصنيف، وشاعر فذ ٠

رحل الى بغداد وعاد الى سورية ، وتنقل بين فلسطين ولبنان ، ثم سافر الى مصر والحجاز ، الى ان استقر بدمشق ثانية ، وظل فيها حتى وفاته رضوان الله عليه في سنة ١١٤٣ هـ و ١٧٣٣ م وله قبر يزار في مسجده ، على مقربة من ضريح سلطان العارفين الشيخ محي الدين ابن عربي ٠

والعارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي الصالحي ، من أعيان علماء الاسلام والأئمة ، واحواله شهيرة ٠

وقد انكب على التأليف في مختلف العلوم الكونية والدينية ، فبلغت كتبه ورسائله ، نحو المئة تقريباً منها : « المقصود في وحدة الوجود » ، الذي اثبتناه فيما قبل ، وفرغ منه في سنة احدى وتسعين

والف ، « والحضرة الأنسية في الرحلة القدسية » و « تعطير الانام في تعبير المنام » و « علم الفلاحة » و « نفحات الازهار على نسمات الاسحار » و « ايضاح الدلالات في سماع الآلات » و « ذيل نفحة الريحانة » و « رحلة الذهب الابريز في الرحلة الى بعلبك وبقاع العزيز » و « الحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر والحجاز» و «عقائد المرجان في عقائد اهل الايمان » و « كنز الحق المبين في احاديث سيد المرسلين » و « اباحة الدخان » و « شرح المقدمة السنوسية » و « رشحات الاقلام في شرح كفاية الغلام » وهو مجلد ضخم في فقه الحنفية ، و « الفتح الرباني والفيض الرحماني » و « كوكب الصبح في ازالة القبح » و « الحديقة الندية في شرح الطريقة المحمدية » و « الفتح المكي واللمح الملكي » و « قطر السماء ونظرة العلماء » و « الفتح المدني في النفس اليمني » و « خمرة الحان ورنة الالحان في شرح رسالة الولي الشيخ أرسلان » و « تحفة المسألة بشرح التحفة المرسلة » والاصل للشيخ محمد فضل الله الهندي .

جدول الخطأ والصواب

ص	س	الخطأ	الصواب
١٥	١١	متباينتين	متباينتان
١٧	١٦	لنفسها	نفسها
١٨	١٥	العارفين	العارفون
٢٠	١٧	فيما	وفيما
٢٤	٦	جبوراً	مجبوراً
٢٤	١١	لامة	لامه
٢٤	١٧	لهلا	لها
٢٥	١	اقرن	قرن
٢٥	١١	التجل	التجلي
٢٧	٤	القائلين	القائل